المحاضرة السابعة

المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1519-1830م

1- **تركيبة المجتمع الجزائري**.

2- **العادات والتقاليد**.

3- **الاحتفال بالمناسبات الدينية**.

لقد شهد المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني تنوعا وثراء في التركيبة الاجتماعية والعرقية والدينية، حيث عاش في الجزائر الأتراك والكراغلة والجزائريون واليهود والمسيحيون، ومارس أهل الذّمة طقوسهم الدينيّة بكلّ حريّة، حتى أنّ "أحد الآباء الفرانسيسكانيين لاحظ خلال إقامته في الجزائر أواسط القرن السابع عشر، أن زينة الكنائس الجزائرية تتفوق على كل زينة الكنائس الموجودة في إسبانيا".[1]

1- تركيبة المجتمع الجزائري:

1-1- الأتراك: كان الأتراك المتواجدون في الجزائر عبارة عن أوليغارشية ذا سلطة متنفذة في الحكم والادارة والجيش، يملكون السلطة التنفيذية في اتخاذ جميع القرارات المسيّرة لشؤون البلاد، "حيث ترجع أغلب أصول هؤلاء الأتراك إلى الأناضول، وقد قدّر بوتان عددهم بعشرة آلاف نسمة سنة 1808م".[2]

1-2- الأعلاج أو المهتدون: هم أولئك المسيحيون الذين اعتنقوا الإسلام، ولعبوا دورا بارزا في "تاريخ الجزائر الحديث"، وإنما وضعتهم في المرتبة الثانية قبل الكراغلة لاعتقادي أن هؤلاء المهتدون قد لعبوا دورا يتجاوز دور الكراغلة في الجزائر، ذلك أن منهم الحكّام وقادة البحرية والجيش وهذا ما لم يبلغه الكراغلة.

وتشير الدراسات إلى أن عدد الأعلاج قد مثّل نسبة معتبرة من الساكنة في الجزائر، حيث يحصي آلان جيمسون "وجود ثلاثمائة ألف مهتد على أراضي المغرب العربي في الفترة الممتدة بين سنتي 1550-1770م"[3]، كما شغلوا المناصب التنفيذية المختلفة، ولعلّ ما يبرز

---

[1] Ellen G. Friedman, "The Exercise of Religion by Spanish Captives in North Africa", Sixteen Century Journal, Vol 1, N°1, Apr 1975, p24.

[2] صابري محمد، فرح لخميسي، دراسة سوسيو تاريخية لعادات وتقاليد المجتمع الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830م، مجلّة العلوم القانونية والاجتماعية، م.07، جامعة الجلفة، الجزائر، ديمبر 2022م، ص696.

[3] Alan G. Jamieson, Lords of Sea, a History of the Barbary Corsairs, London: reaktion books ltd, 2012, p.60.

تنفّذهم هو تولي العديد منهم الحكم في الجزائر، أمثال حسن آغا السرديني أول حاكم مهتد على للجزائر، وحسن قورصو الكورسيكي ودرغوث باشا وعلج علي الايطالي ومراد رايس وجعفر باشا وحسن فينزيانو وغيرهم الكثير، وفي المقابل ترقى آخرون ليتولوا قيادة البحرية الجزائرية، ولعل منهم من أصبح قابودان باشا وقائدا أعلى للبحرية العثمانية قاطبة، أمثال علج علي وعلي بتشنين.[4]

1-2- الكراغلة: هم أبناء الأتراك من أمّ جزائرية، ويعني لقب الكرغلي "العبد أو ابن الجندي"[5]، وقد نمى عددهم حتى "بلغ بين سنتي 1816-1824م عشرون ألفا" وفق ما أورده بوتان في مذكراته[6]، في حين يقدم لنا بويي ما عدده خمسة عشر ألف كرغلي كانوا متواجدين في الجزائر سنة 1830م، شارك منهم فيلق يتكون من خمسة آلاف كرغلي في معركة سطاوالي ضد الفرنسيين".[7]

استقر الكراغلة في كامل ربوع الوطن وبخاصّة في المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة وعنابة... إلخ، وقد سمح لهم الأتراك بممارسة التجارة والسيطرة على ملكيات الأراضي الزراعية وتولي العديد من المناصب الإدارية والعسكرية السامية التي حرم منها أهل البلد، ما جعلهم "أكثر تعاليا وتكبرا أمام أخوالهم الجزائريين، ذلك أنهم طالما اعتبروا أنفسهم أتراكا بالدم".[8]

---

[4] قرباش بلقاسم، اعتناق الاسلام في الجزائر خلال القرن 16م، ملتقى دولي: البحر الأبيض المتوسط، مجال التنافس بين المسيحية والاسلام عبر التاريخ، جامعة بريكة، الجزائر، 22/21 فيفري 2023م، ص05-06.

[5] Maroc-Algérie : analyses croisées d'un voisinage hostile, Karthala, 2011, p17.

[6] صابري محمد، مرجع سابق، ص696.

[7] Pierre Boyer, "Le problème Kouloughli dans la régence d'Alger", Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N.8, 1970, p. 84.

[8] آيت حبوش حميد، الكراغلة ودورهم السياسي في الجزائر العثمانية، مجلة القرطاس، ع.02، جامعة تلمسان، جانفي 2015م، ص139.

1-4- الأندلسيون: تعتبر هذه الفئة من المهاجرين من الجزيرة الايبيرية بعد سقوطها تحت ويلات الاحتلال الاسباني والبرتغالي، وقد كان توافدهم تواليا على الجزائر طوال القرن السادس عشر والسابع عشر.

وقد لعب الأندلسيون دورا بارزا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية الجزائرية فهناك من التحق بالبحرية أملا في الانتقام من أعدائه الإسبان الذين استباحوا أمواله وأولاده، "حيث تشير التقارير إلى أن أربعة عشر ألف طفل أندلسي قد أخذوا غصبا من أوليائهم وبيعوا عبيدا لكبار القساوسة ورجال الدولة الإسبان"[9]، وعمل آخرون في الهندسة المعمارية والحضارية حيث "يؤكد جون فوس أنّ الداي قد كلّف أحد الموسكيين ببناء قناتين لجلب المياه العذبة من الجبال المجاورة إلى الجزائر العاصمة"[10]، في الوقت الذي برز فيه آخرون في صناعة المنتوجات الحرفية حيث لم يكن لمنتوجاتهم مثيل ولا منافس.

1-5- الأشراف: ينسب أفراد هذه الفئة إلى آل البيت، وكانوا يتمتّعون بمكانة اجتماعية ودينية وسياسية مقرموقة حيث تقلّدوا مناصب القضاء والافتاء والتعليم... إلخ.

1-6- الحضر: يمثّل الحضر فئة الجزائريين أو الساكنة الأصلية للمدن الكبرى، حيث فرض عليهم الأتراك تبعية مطلقة، "فلا يحق لأحد منهم حمل السلاح، كما أن ممتلكاتهم معرّضة للمصادرة بسبب أيّ خطأ قد يقترفونه في حق الأتراك، وهم في مجموعهم يشتغلون كعمال أو تجار".[11]

---

[9] Pascual Boronat, Borrachina, Los Moriscos Españoles y su Expulsión, Vol.02, Valencia: Real Colegio de Corpus Christi, 1901, p.521-552.

[10] John Foss, op.cit, p55.

[11] هابنسترايت، مصدر سابق، ص32.

1-7- البرانية: وهي فئة من الجزائريين اضطرتهم ظروفهم إلى التنقل للمدن الكبرى طلبا للرزق، وقد انقسمت هذه الفئة إلى مجموعات مختلفة، حيث أدّت كل واحدة منها أعمالا تختلف عن الأخرى، ونذكر منهم: [12]

- **الأغواطيون:** قدم أغلبهم من مدينة الأغواط وقبيلتي الزناخرة وأولاد نائل، حيث يشتغلون في أعمال الوزن والكيل وبيع الزيت بالأسواق، في الوقت الذي يشتغل بعضهم الآخر في أعمال التنظيف ونقل البضائع.
- **الميزابيون:** هم القادمون من غرداية وبني يزقن وبريان وبني ميزاب وشعابنة وورقلة ممن يتبعون المذهب الإباضي، وقد اشتغل الكثير منهم في الحمامات والمقاهي وبيع اللحوم.
- **البساكرة:** اشتغل عامتهم في المهن البسيطة مثل تزويد المدن بالمياه وجمع الحطب.
- **جماعة القبائل:** هم الوافدون من مناطق جبلية كجبال جرجرة والبليدة والمدية وتلمسان، وامتهنوا البناء والحرث وغرس حقول التين والزيتون، كما عملوا لدى الأجانب المقيمين بالجزائر.
- **الجيجليون:** حظيت هذه الفئة باحترام كبير من قبل الأتراك الذين منحوها امتيازات كبيرة مثل حق حمل السلاح وارتداء الملابس التركية، وقد اشتغلوا في الأنشطة التجارية مثل: الدباغة وامتلاك المخابز والعقارات.

1-8- أهل الذمّة:

اليهود: لقد استقر عدد هائل من اليهود في وهران وبجاية والجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة وتقرت والزاب؛ بالإضافة إلى أغنياء يهود ليفورنو الذين هاجروا إلى الجزائر

[12] صابري محمد، مرجع سابق، ص698.

خلال القرنين 16م و17م، وقد اشتغل أغلبهم في التجارة والوساطة حيث لعب كبراؤهم دورا بارزا في توقيع المعاهدات لصالح الدول الأوربية.[13]

- **الأوربيون:** تنقسم هذه الفئة إلى مجموعتين، تتمثل الأولى في فئة الأحرار وتضمّ القناصل والتجار والآباء والقساوسة والموظفون في المؤسسات التجارية الأوربية؛ أما الفئة الثانية فتتكون من الأسرى الأوربيون الذين يجلبون إلى الجزائر من خلال العمليات البحرية التي كان يقودها الرياس في البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي، وقد أحصى سيرفانتيس عددهم أواخر القرن السادس عشر بـ خمسة وعشرين ألفا، وارتفع عددهم ليبلغ سنة 1621م أكثر من إثنان وثلاثون ألفا.[14]

2- العادات والتقاليد:

2-1- المأكل والمشرب:

يؤكد توماس شاو أن "زراعة الفاصلوياء والعدس، والبازلاء والفول شائع جدا في الجزائر، حيث تزرع في أغلب الحدائق بداية من شهر مارس من كلّ سنة، ويتناول الجزائريون هذه الحبوب طوال فصل الربيع، حيث تطبخ باستخدام الزيت والثوم، وتعتبر الطبق الرئيسي لأغلب الفئات الاجتماعية في الجزائر.[15]

في الوقت الذي تعتمد فيه القبائل العربية في مأكلها في الغالب على "الخبز والحليب والأزباد والتمور والكسكس أو ما يحصلون عليه من خلال مقايضتهم لصوف أغنامهم"، حتى أنهم لا يطعمون أنفسهم أيّ لحم إلاّ نادرا؛ وذلك رغم امتلاكهم لعدد هائل من الأغنام والجمال.[16]

---

[13] **ينظر:** Michel Abitbol, *The Jews of North Africa During the Second World War*, Detroit: Wayne University State Press, 1989.

[14] Abla Gheziel, "Captifs et captivité dans la régence d'Alger (xviie- début xixe siècle)", Cahiers de la Méditerranée, 87, 2013, p.80.

[15] Shaw Thomas, Travels, Or Observations Relating to Several Parts of Barbary and the Levant: Illustrated, London, 1757. p256.

[16] Ibid, P310.

ويعدّ الجزائريون أطباقا متنوعة تختلف من منطقة إلى أخرى، فمنها ما يوقد على النار فيغلي، أو يشوى ...إلخ، بالإضافة إلى أن غنى وفقر الفرد الجزائري يؤثر بشكل جلي على نمط التغذية الذي يتّبعه الفرد، فتجد "الاغنياء من الأتراك والجزائريين يضعون العديد من الأطباق على طاولاتهم رفقة اللوز والتمر والسكريات والحليب والعسل"، ويذكر شاو "أنّه رأى في بعض ولائم الجزائريين أكثر من مائتي طبق منها أربعون على الأقل مختلفة عن بعضها البعض، غير أن هذا النوع من الرفاهية ليس متاحا لجميع الجزائريين وقد يقتصر على ساكنة المدن الكبرى فقط، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر لا يوجد الكثير من أدوات ووسائل الراحة بالنسبة للبدو وسكان بلاد القبائل، حيث تنحصر مقتنيات الأمير أو الملك نفسه على وعاء أو وعاءين من الخشب بالإضافة إلى قدر وغلاّية، وذلك هو جميع أثاث مطبخه".[17]

أما عند الحديث عن أكثر المشروبات استهلاكا في الجزائر فإن القهوة كانت هي سيدة المطبخ الجزائري دون منازع ولا منافس، حيث أشار لها الكثير من الرحالة باعتبارها "سلعة *commodity* متداولة بشكل واسع في أوساط الجزائريين[18]، فتؤكد ماريا مارتين التي كانت أسيرة في تنس "أن الجزائريين يقبلون على تدخين غليوناتهم وشرب القهوة مباشرة بعد تناول الطعام"[19]، في حين تحصي فلييتا من نابولي "وجود خمسة مقاهي في الجزائر العاصمة سنة 1830م".[20]

والحق أن الكثير من الكتاب والأسرى الأوربيين ممن دوّنوا مذكراتهم قد تعرضوا للقهوة "كمنتوج يرمز للكسل وتضييع الوقت"، حيث يؤكد ستيفن ويلسن جيمس بقوله: "يضيّع كلا الجنسين أغلب وقته في تضييع الوقت والكسل، فأما بالنسبة للرجال فيقضون وقتهم في احتساء

---

[17]Shaw Thomas,op.cit, p417.

[18] Marita Ervin, Coffee and the Ottoman Social Sphere, University of Puget Sound, 2014, p05.

[19]Maria Martin, History of the captivity and sufferings of Msr. Maria Martin, Boston, Printed for W.Crary, 1807.

[20] Khalid Bekkaoui,White Women Captives in North Africa, Narratives of Enslavement, 1735-1830, UK: Palgrave Macmillan, 2010, p255.

القهوة والتدخين، في حين تقضي النساء وقتهن في الخياطة والاغتسال...".[21] لم يستخدم ستفين كثيرا مصطلح *Turk* في عمله كغيره من الكتّاب، ولكن عندما كان يستخدم ذلك المصطلح فإنه كان يقصد به دائما مصطلحات مرادفة "للأتراك الكسالى *Lazen*، الخاملون *Indolence*...ولهذا فقد صوّر ستيفن القهوة كمشروب يعبّر عن عادة تركية ترادف "الإنسان التركي الكسول" وأعطى صورة نمطية عن الأتراك الجزائريين، عبّر عنها في جمل كالآتي: "يقضي الأتراك معظم وقتهم في التدخين وشرب القهوة والخمول"، "يقضي الأتراك معظم وقتهم في المقاهي يرتشفون القهوة، ولا يخصصون أيّ وقت للقراءة لكي يحسّنوا من تفكيرهم...".[22]

وفي المقابل لا تعتمد طريقة تناول الجزائريين للطعام على المرتبة الاجتماعية، فلا يختلف الباشا نفسه في تناول طعامه عن الطريقة التي يتبعها البدويون في الأكل، حيث "يقوم الجزائريون في البداية بغسل أيديهم، ثم يقومون بأخذ جلسة القرفصاء أمام الحصيرة أو الطاولة الصغيرة التي توضع عليها الأطباق، كما أنهم لا يستخدمون في الغالب أي سكاكين أو ملاعق ولا يرفعون الطعام نحو أفواههم إلا باستخدام اليد اليمنى".[23]

2-2- اللباس والزينة:

وفيما يخصّ اللباس الجزائري، فتزودنا ماريا مارتين بمعلومات جد مهمة حيث "يرتدي الرجل عباءة فضفاضة تكون أكبر مرّتين من الجسد، ويضع على خصره حزاما بداخله سكين أو سكينان يشبهان الحربة، كما يجعل على رأسه عمامة أو وشاحا ملفوفا، ويلبس نعلا أو بالأحرى جوارب من الجلد المغربي المدبوغ، وتكون في الأغلب قصيرة بحيث تغطي جزءا من الساق؛ في الوقت الذي تلبس النساء عباءات فضفاضة ويضربن على رؤوسهن بخمر يغطي شعورهن، كما أن بعضهنّ يربطن شعورهن في شكل عقد في حين تطلقه أخريات على

---

[21] Stevens James Wilson,An Historical and Geographical Account of Algiers. Philadelphia: Hoagan&M'Elroy,1797, p.143.

[22] Ibid.

[23]Shaw Thomas,op.cit, p41è-418.

ظهورهنّ، كما يغطين رؤوسهنّ بقلنسوة حمراء أو قبعة جوانبها مطرزة بالقطن، ولعل أحد أشهر ما ترتديه النساء هو الحايك الذي يليبس فوق ثيابهنّ، ويتزين بحلقات توضع في الأذن وقلائد على العنق تكون ذا قيمة مادية كبيرة.[24]

ولعلّ أشهر ما كانت النساء الجزائريات ترتدينه خلال العهد العثماني هو الحايك والمحرمة أو المكرمة، والشاشية أو الكوفية وعباءة الملاية والعصابة التي تزيّنها النساء الغنيّات باللؤلؤ وأخريات بالفضّة، والبنيقة والعجار أو البرقع والملايا، وتلبس المرأة الجزائرية أيضا القفطان أحد أشهر الألبسة النسائية حيث يرجع أصله إلى الأترك، بالإضافة إلى الكراكو والجبّة أو القندورة، كما تضعن في أرجلهنّ القبقاب والشبرلة والبابوش المطرّز بالذهب.[25]

ويشيع بين الرجال ارتداء اللثام والعمائم والبرنوس والقشابية والصدرية والجبادولي وغيرها من الألبسة الأخرى التي يختلف ارتداؤها حسب المكانة الاجتماعية والمالية للرجل.

وأما الأطفال فيختلف لباسهم على حسب المكانة الاجتماعية، حيث أن "أبناء البدو أو المناطق المجاورة للمدن لا يرتدون شيئا على أجسادهم حتى يبلغوا سنّ السابعة أو الثامنة".[26]

2-3- الزواج:

لقد كان اختيار شريكة الحياة بالنسبة للجزائري يتم عن طريق "الواسطة"، أين تتولى امرأة عجوز صديقة للعائلة اقتراح إحدى البنات على الوالدة[27]، في حين يذهب جون فوس إلى أن "الزوج لا يذهب لمراسم الخطبة حيث يبدي موافقته على الزيجة من خلال الوصف الذي

---

[24]Maria Martin,op.cit, p51-52.

[25] **ينظر**: نفيسة لحرش، تطور لباس المرأة الجزائرية، تق: عبد الحميد بورايو، ط2، دار الأنوثة للنشر، الجزائر، 2007م.

[26]Maria Martin,op.cit, p11.

[27] إسماعيل توتة، مرجع سابق، ص08.

يقدّمه لها والد الفتاة"[28]، حتى أن من عادات بعض العائلات الجزائرية حجب الفتاة عن أعين الناس منذ سنّ التاسعة باستثناء المحارم، ولا تشاهد المرأة إلا في الحمامات وحفلات الزفاف.

ففي إحدى الوثائق المؤرّخة سنة 1831م "التقى السيّد محمد الجنّادي ابنه في مقهى بجامع القايد صفر وأعلمه بأنّه اختار له زوجة ودفع عنه المهر، فقبل الابن وأعطى والده مبلغ الصّداق".[29]

وبعد اتفاق الطرفان على الزيجة، "يقوم الرجل بدفع الصداق الذي على عاتقه لوالد الخطيبة، كما يرسل لزوجته هدية تتمثل في الفواكه واللحوم"[30]، ثم يكون حفل الخطبة أين يعرف في المجتمع الجزائري "بالفاتحة أو الخطبة"، حيث يجلب الإمام إمّا للبيت أو في المسجد أين يتم عقد قران الزواج على الطريقة الشرعية الإسلامية.

وما إن تنتهي الخطبة حتى "يوزّع العريس الشاربات على الحاضرين"، ويرى جون فوس "أن أهل العريس يقيمون حفلا موسيقيا بمناسبة عقد القران الشرعي على شرف أقرباء زوجته".[31]

ولا يلتقي الخطيب خطيبته إلا يوم الزفاف، فترتدي الزوجة ثمانية أيام قبل العرس أفخم ثيابها وتتأنق تأنقا بهيجا يليق بهذا اليوم، حيث توضع في خدمتها ومرافقتها أربعة نسوة؛ فلا يسمح لأي شخص بالحديث مع الزوجة باستثناء والديها وهؤلاء النسوة.

أما بالنسبة للزوج "فإنّه يتجول في المدينة مرتديا برنوسا أحمرا وعلى جانبه سيف رفيع ووشاح ملقى على وجهه ليحول دون تأثير عين الشيطان على جسده... وبعد أن يجتمع بالأصدقاء والأقارب ويصلي معهم في بيته، يلتحق ببيت زوجته لحضور مراسم الزفاف".[32]

---

[28] John Foss, op.cit, p81.

[29] نجوى طوبال، مرجع سابق، ص179.

[30] John Foss, op.cit, p81.

[31] John Foss, op.cit, p82.

[32] سبنسر ويليام، مرجع سابق، ص117.

وما إن يصل الزوج بيت زوجته حتى تقوم المرافقات النسوة بسحبه من يديه وأخذه إلى المكان الذي تجلس فيه الزوجة التي تقوم إليه فتقبل يديه ورجليه، حيث يعتبر هذا الفعل إعلانا عن تبعيتها وتشريفا لزوجها.[33]

تُحمل بعدها الزوجة إلى البيت الزوجي من قبل المرافقات، وما إن تصل سالمة إلى زوجها، حتى تجتمع النسوة اللاتي حضرن الزيجة جميعهن ويمشين في الشوارع ليعلن عن الزيجة بشكل واسع من خلال الزغاريت التي تطلقنها، فيمكن سماع أصواتهن على بعد ميلين كاملين.[34]

وقد اختلف المؤرخون في عدد الزوجات اللاتي يتخذهم الرجل الجزائري لننفسه، فيرى "جون فوس أن الجزائري يتزوج بين الإثنين والثلاثة نساء"، في حين يذهب شالر إلى التأكيد بأنّ "أغلب الجزائريين يتزوّجون بامرأة واحدة لا أكثر ولا أقل".[35]

3- الاحتفال بالمناسبات الدينية:

لقد كان الجزائريون يولون أهمية بالغة للاحتفالات الدينية خاصة وأن الفكر الصوفي كان يعمّ السلطة والثقافة الاجتماعية علماء وأفرادا، وهذا ما جعل من هذه الاحتفالات تعبيرا مباشرا عن المكنون الديني المقدس الراسخ في الجزائريين.

فيذكر ابن حمادوش أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في الجزائر أكثر صخبا وزينة من ذلك الذي وجده في فاس، فيقول: "لقد لقيت في فاس الطبالين والعياطين وآلات الطرب كلّها في السوق، ذاهبين بأربعة قباب من الشمع كل واحدة من لون خضراء وأخرى بيضاء

---

[33] John Foss, op.cit, 83.

[34] John Foss, op.cit, p82.

[35] شالر ليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، تر. اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص86.

وأخرى حمراء"، كما كان الشعراء يكتبون أشعارا سنوية كلّما أهلّ عليهم يوم المولد النبوي الشريف.[36]

ويحتفل الجزائريون بالمولد إما في بيوتهم أو في المساجد حيث تلقى هناك الخطب والمواعظ عن سيرة النبي محمد صلّى الله عليه وسلم، ويذكر هايدو بقوله: "تحضّر العائلات الجزائرية ليلة المولد طبق الكسكس مرفوقا باللحم، كما يضعون بعض الأطباق على الشرفات والساحات والطرقات معتقدين أن النبي صلى الله عليه وسلم سيزورهم في هذه الليلة".[37]

وأما عن الأعياد فيؤكد جون فوس الأسير الأمريكي قائلا: "بمجرد إعلان يوم عيد الفطر حتّى تنطلق الاحتفالات والولائم التي تستمرّ يومين كاملين، وخلال هذين اليومين يتم الإغلاق عن الأسرى غير أنه يمنح لهم رغيف خبز من اللون الأبيض لذيذ الطعم"[38]، في حين يورد هابسنرايت الإعلان عن عيد الفطر بقوله: "ما إن يصل الخبر برؤية هلال العيد إلى الداي حتى يعطي أوامره بإطلاق القذائف من المدافع إيذانا بالعيد، وقد جرت العادة أن يلتقي الناس بعضهم البعض في اليوم الأول من عيد الفطر فيلقون السلام ويتبادلون التهاني[39]، ويتبادل فيه الجيران والأفراد الحلويات والهدايا حتى أن الجزائريين كانوا يطلقون عليه سكر بيرام أي عيد السكر.[40]

---

[36] عبد القادر خليفي، احتفالية المولد النبوي الشريف في الجزائر، مجلة العلوم الانسانية، ع.10، جامعة وهران، جانفي/جوان 2016م، ص19.

[37] Haedo, op.cit, p146.

[38] Foss John, op.cit, p25.

[39] هابنسترايت، رحلة العالم الألمانيالى الجزائر وتونس وطرابلس 1732م، تر.ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس، الطبعة الاولى، 2008 ص 47.

[40] توتة إسماعيل، الممارسة الدينية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية، ملتقى تاريخ الجزائر الديني في العهد العثماني، مخبر دراسات الفكر الإسلامي، جامعة سيدي بلعباس، 07/06 مارس 2018م، ص05.

ويرتدي الساكنة أجمل ما لديهم من الثيّاب وخاصة الأطفال، حيث تكون نوعية وجودة هذه الملابس مرتبطة دائما بالحالة الاجتماعية للفرد، فيرتدي الغني الثياب المطرزة بالذهب والفضّة والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن، ويذكر هاينريش "أنّ الجزائريين القاطنين في المدينة يرتدون أجمل الثيّاب على عكس أهل الأرياف الذين لا يعطون بالا لارتداء الثيّاب"، كما تخرج النساء إلى الميادين والساحات العامة حتى أن عددهن قد يعادل أو يزيد عن عدد الرجال.[41]

وتقدّم الهدايا والنقود للأطفال، كما يوجد في باب الواد عجوز تركي يقوم بإدارة عجلة كبيرة فوقها عدد من الأطفال وهم يمرحون، ويستيقظ الناس يوم العيد على أنغام الموسيقى الصاخبة التي يعزفها السود...".[42]

وما إن يمضي شهرين على عيد الفطر حتى يبدأ الجزائريون بالتحضير لعيد الأضحى الذي يطلقون عليه "كيوك بيرامي" تأثّرا باللغة العثمانية[43]، فيذبحون الأضاحي قربانا لله سبحانه وتعالى، فأما الأغنياء فيذبحون "بقدر عدد أفراد العائلة"[44] في الوقت الذي يذبح الساكنة البسطاء شاة واحدة فقط، وفيما يخصّ الداي؛ فبعد أن يؤدي صلاة العيد في مسجد الحوآتين، يقوم بالإشراف على عملية ذبح الأضحيات حيث تكون هذه الطقوس مصحوبة بطلقات البنادق والموسيقى العسكرية، لتفتح بعدها أبواب قصر الداي فيقدّم الكسكس للحاضرين".[45]

---

[41] هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي شمال أفريقيا، ج1، تر. أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص66.

[42] توتة إسماعيل، مرجع سابق، ص06.

[43] سبنسر ويليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تر. عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006م، ص 120.

[44] Haedo, topographie et histoire générale d'alger, traduit, de l'espagnol par, Monnerau, et Berbrugger, imprimé, valladolid, 1870, p 145.

[45] توتة إسماعيل، مرجع سابق، ص06.

وكان الجزائري يولي أهميّة بالغة بالحجّ كيف لا وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، فيتمنى كلّ فرد زيارة الكعبة في يوم من الأيام، وأما عن طقوس التحضير لهذه الشعيرة، فيذكر الورتلاني ما مفاده "أن حاكم الجزائر العاصمة كان يعطي أوامره للشيخ سيدي الموهوب من أجل ضرب الطلب إذانا ببدء موسم الحج".[46]

وما إن تفد الأخبار بانطلاق الموسم حتى يشرع السكان في إعداد البغال والخيّام وشراء الحبوب المجففة كالفول والعلف والرواحل والجمال والخيول وكرائها، ويحتشد الناس في جماعات للحديث عن الحج والتحضيرات المزمع القيام بها.[47]

وهكذا يشرع الركب في السير نحو البقاع المقدسّة "فيما عدده في بعض الأحيان ثلاثمائة حاج"[48]، متبعا الطرق الاعتيادية حيث يمر عبر طريقين: تدعى الأولى الطريق العلوية التي لا تخضع لسلطة العثمانيين وتمر عبر أوكرت، تيميمون، المنيعة، واركلا، تماسين، تقرت، واد سوف، الرباح، وادي العلدنة وتنتهي إلى المدخل الجنوبي الغربي التونسي، في حين تسمى الثانية الطريق السفلية وهي تابعة للسلطة الجزائرية، وتملر عبر بلاد توات إلى إقليم قزّان جنوب ليبيا حتى تصل إلى البقاع المقدسة[49]، وهناك طريق ثالث يمرّ عبر قسنطينة وصولا إلى تونس ومن هناك يأخذ الحجاج طريق البحر، فيذكر الورتلاني طريق رحلة حجّ أحد الركب

---

[46] الورتيلاني، الرحلة الورتيلانية نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج01، تع. ابن مهنّا القسنطيني، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2006، ص14.

[47] سليمان دهان، " تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني "، مجلة أفكار وآفاق، ع.2، جامعة الجزائر، 2017م، ص21.

[48] الورتلاني، مصدر سابق، ج01، ص43.

[49] الشريف الزهار، ص52.

قائلا: "ولمّا ودّعت أهل بجاية رجعنا إلى دارنا عازما على السفر وجاءنا الركب من جبل زواوة نحو الثلاثمائة رجل واشتغلنا بهم إلى أن ذهبوا إلى قسنطينة ثم إلى تونس ليذهبوا في البحر".[50]

[50] الورتيلاني، مصدر سابق، ص43.